

AL - MANARAH

NO. 2 AUGUST 1988

مجلة المصطفى
تصدر أسبوعياً عن اتحاد الأدباء
والفنانين العرب (لبنان)
العدد الثاني أغسطس ١٩٨٨



المجلة الثقافية



○ مهمة في الجزيرة

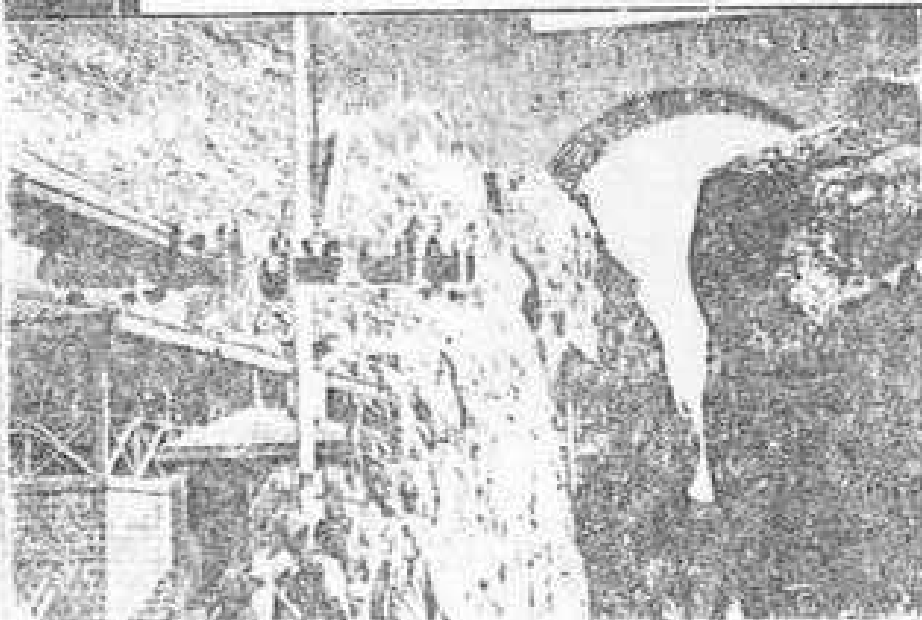
العربية

○ قصص مواط

○ ادب العالم الثالث

○ قصة ابي دجاجة

○ كل يحدثك من حيث اتى



○ السؤال

○ هديان

المحتويات

- ٧ الافتتاحية : مصاعب الأستمرار هيئة التحرير
- دراسات ومقالات
- ١٠ * ثلاث قصص بقلم محمد سعيد مسواط سلام عبود
- ٢٥ * ادب العالم الثالث هشام علي
- ٣٢ * لغتي التي أجهلها عمر عبد العزيز
- قراءات نقدية
- ٣٦ * قراءة تذوقية في شعر جمال الرموش شوئي شفيق
- ٤٨ * قراءة في قصة السيد ماجد احمد سالم الخياط
- تاريخ
- ٥٤ * قصة أبي دجانه عبد الله محيرز
- ٦٣ * كل يحدثك من حيث أتى حسن القاضي
- ٧٠ * ابواب عدن التاريخية احمد صالح رابضه
- شعر
- ٨٣ * السؤال القرشي عبد الرحيم سلام
- ٨٥ * مرثية صديق مسن مختار علي

معالم عدن التاريخية

«ابواب عدن التاريخية»

احمد صالح رابضة

فن الهندسة المعمارية عند اليمنيين

ليس من الغلو القول ان فن الهندسة المعمارية في اليمن قد بلغ مبلغا جعله يضاهي فن الهندسة المعمارية في العالم القديم، وان تعرضت معظم مآثر اليمن الحضارية الرائعة بصفة خاصة للاندثار نتيجة للحرب، والدمار، والجهل والتخلف، كقصر غمدان، وسد مأرب، والعاصمة التاريخية تمنع، بما فيها من مظاهر حضارية لا تقل قيمة عن المظاهر الحضارية الاخرى في العالم القديم وغيرها كثير.

فقد اسهب المؤرخون والدارسون في تناول هذا الفن المعماري الراقى، وافاضوا في درسه الا ان احدا لم يفرد له دراسة منفصلة، وذكروا نماذج مختلفة منه، منها قصر غمدان، الذي كان ممتدا من شرق الجامع الكبير بصنعاء الى حد مسجد الحميدي كما يقول السياحي^(١)، ويتكون من عشرين طابقا، ولعل ابرز ما يميزه، تلك الرخامة البديعة التي تغطي سطحه، وتماثيله، من الاسود النحاسية الرائعة التي تزأر كلما هبت الرياح.

اما مسجد الجامع الكبير الذي حل محله الآن - على الأرجح - فهو الاخطر من المآثر البديعة، اذ يقف على اسطوانات تعود الى العصور الحميرية، وقد زخرت سقوفه ورصعت بالفسيفساء.

ومن المآثر التي نقف على اسطوانات واعمدة بديعة الشكل، محرم بلقيس، معبد



الاله المقه حيث يرى بعض الدارسين^(٣) ان اعمدته تشبه اعمدة جامعة موسكو مع الفارق بين الاثرين، فمحرم بلقيس، كان قائما قبل ثلاثة الاف سنة، بينما شيدت جامعة موسكو حديثاً، هذا الى جانب القصور العظيمة التي اندثرت كقصر ربيدان، وناعظ، وسلحين، وذيون، وهو الذي قال فيه علقمة بن جدن:

ومصنعه بذوي ربيدان آست باعلى فسرع متلفه حلوق^(٣)

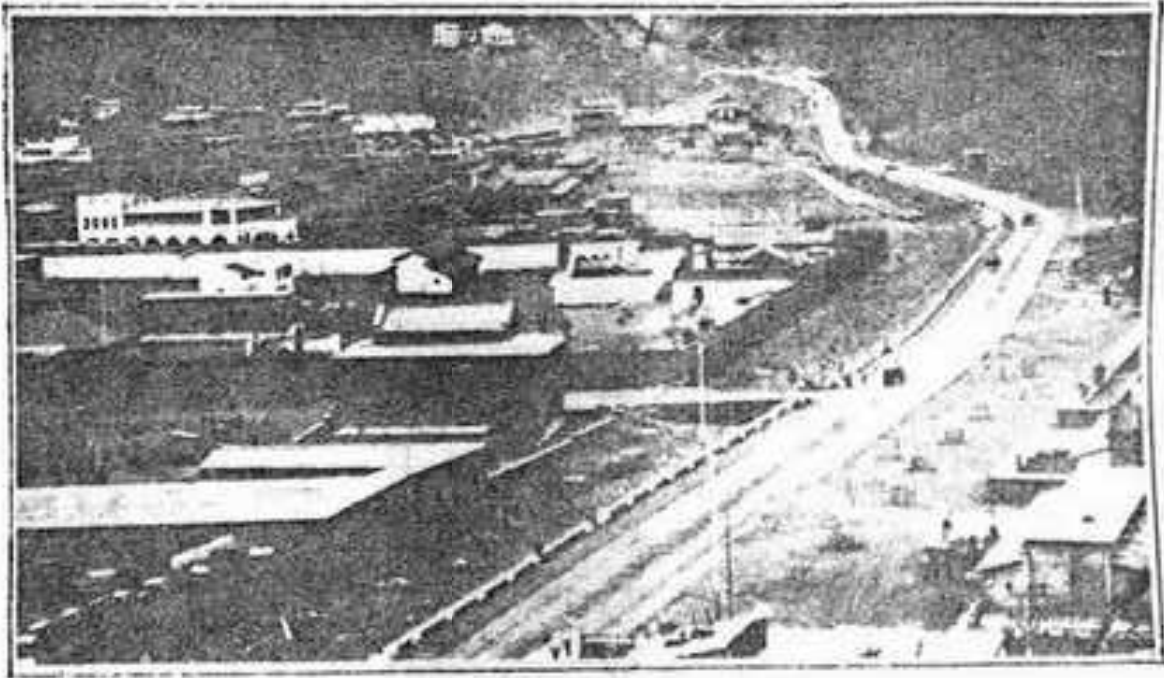
والسدود العظيمة، كسد الخائق، وسد مأرب العظيم، الذي يقدر انه بني في الالف الاول قبل الميلاد، او بين ٨٠٠ - ٩٠٠ ق.م كما يرى بعض الدارسين^(٤)، وهو آية في الروعة ودقة البناء والمتانة، وصهاريج عدن التاريخية^(٥)، وحصن الغراب، والمباني التاريخية القديمة في دار العرائس بمحافظة لحج، والقلاع التاريخية المنتشرة على الجبال، والطرق والانفاق التي شقت في بطون الجبال، والودية الوعرة، كل ذلك يدل على تطور فن الهندسة المعمارية في اليمن مع ما في هذه النماذج من قصور وابعاز.

وقد اكدت معظم الدراسات الميدانية، التي اجراها خبراء الآثار، والمعالم التاريخية على دقة بناء وتشيد هذه المآثر، بحيث اجمعوا على أن بناء هذه المآثر يمتلكون قدرات علمية، غاية في الدقة، فهم على دراية باساليب البناء الحديثة، من اختيار المواد والمكونات لهذه المآثر أو تلك، ومعرفة تسرب الرطوبة، أو المياه الجوفية اليها - ان وجدت - وتحديد الموضع المناسب للبناء. ولعل الدارس الحصيف يستطيع تبين ذلك من خلال معاينة وضعية المآثر التاريخية على الواقع.

الطرق، والانفاق كشكل من اشكال فن الهندسة المعمارية في بلادنا

ومن المآثر ذات الصلة المباشرة بموضوعنا، الطرق، والانفاق القديمة، التي لا تخلو منها معظم جبالنا، فقد اشارت النقوش، الى فتح بعض الانفاق والثغرات في جبال قبان، الواقعة في حدود بيحان حالياً، وذلك في عهد مكرب قبان، بدع اب ذبيسان، المعروف بجهوده الجبارة في البناء والتعمير، وبخاصة في ما يتعلق بشق الانفاق، ورصف الطرق، وبناء المعابد، وقد شق في عهده ممر مبلقه أو ما بلق بين بيحان ووادي حريب الذي شاهده وبتدل فيلبس اثناء تجواله في بيحان وقال واصفا الممر.

(هو عبارة عن طريق صناعية شقها الانسان لتصل بين وادي بيحان ووادي حريب،



شارع الملكة ارويس قبل ٥٠ سنة

فعلى امتداد هذا الممر ويبلغ ثلاثة اميال ترتفع جدران الى مسافة الف قدم في انحناءات خطيرة. أما طريق الممر فيتراوح عرضها ما بين خمسة عشر قدما واثنى عشر قدما، ويمكن القول أن شق هذا الممر من الاعمال الجبارة، ويشبه نفق بيلطة لتكسير الثلج^(٦).

وقد اشرف على هذه الاعمال كبير مهندسي قتيان اوس عم بن بصرعم^(٧) المعروف بدرايته في هندسة الطرق وشق الانفاق.

باب البر وكيفية تشييده

ولسنا نعدو الحقيقة لو قلنا ان باب عدن - الذي نحن بصدد درسه - هو واحد من هذه الاعمال الجبارة، وان اغفله او كاد بعض الدارسين المحدثين المهتمين بالمعالم التاريخية والاثرية كالاستاذ حمزة لقمان، والتبس او كاد على البعض الاخر ممن وقفنا على مؤلفاتهم، بحيث لم يتمكنوا من تحديد موضعه فوقعوا في خلط، فظنوه باب الزيادة المعروف الآن بالعقبة والحقيقة ان معظم المصادر التي وقفنا عليها لم تحدد مكان الباب، بيد ان الروايات التي تشير بين الحين والاخر، الى المواقع الجغرافية التي جرت فيها بعض الحوادث المهمة كقرية المباءة، اكدت صحة ما ذهبنا اليه.



وباب البر ليس هو الباب الوحيد لمدينة عدن فثمة قرابة تسعة أو ثمانية ابواب للمدينة ستة منها كانت مركبة في سور عدن التاريخي، الممتد من جبل الخضراء وحتى جبل المنظر وتبدو جلية في الرسم البرتغالي للمدينة عام ١٥١٢ م، وقد اصبحت الآن اثرا بعد عين والثلاثة الاخرى وهي باب البر وباب البحر وباب الزيادة فما زالت في مواضعها السابقة على الارجح.

فأين يا ترى يقع باب البر الآن

في الطريق المؤدية الى باب الزيادة العقبة حاليا، في شمال شرقي مدينة عدن، وبالذات في زقاق قبالة معهد الفنون الجميلة، الواقع في شارع اوري بعدن، يوجد نفقان كان العامة يطلقون عليهما (البغدة الصغيرة والبغدة الكبيرة) هما المعروفين بباب البر أو باب عدن، ولا شك انهما كانا يعتبران وقتذاك الباب الرئيس للمدينة.

وثمة ادلة تؤكد ذلك منها الروايات التي يسوقها المؤرخون والدارسون الاقدمون والمحدثون المتعلقة بابواب المدينة حيث يذكر الهمداني ان في المدينة (جبل لم يكن فيه طريق فقطع في الجبل باب بزير الحديد ففسار لها طريق في البر^(١٠)).

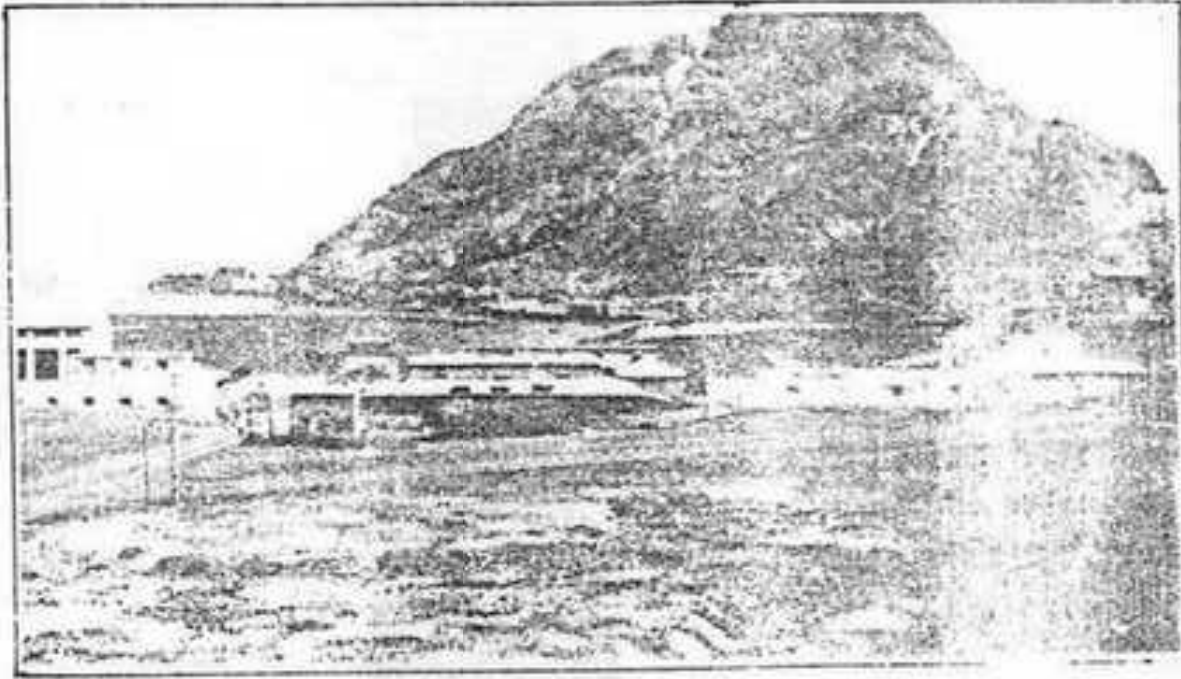
وقال المقدسي (وقد شق في هذا الجبل طريق عجيب وجعل عليه باب حديد، ومدوا من نحو البحر حائطا من الجبل الى الجبل فيه خمسة ابواب^(١١)).

وبامعان النظر في هذه الرواية يتبين لنا ان بناء الباب أو اولئك الذين عملوا على شقه في الجبل، اختاروا موقعا مناسباً له ثم مدوا منه، أو من موقع قريبا منه، سورا، واقاموا فيه خمسة ابواب (سنأتي على ذكرها في ما بعد) ولا شك أن الابواب كلها بما فيها - باب البر - تمتد في خط واحد من جبل التعكر - حيث الباب الرئيس) وهو جبل محصن عليه رنية، حتى جبل المنظر الواقع في صيرة التاريخية.

وتفيد رواية للقلقشندي ان ثمة ثقبين في هذا الجبل من طرفيه كالبابين^(١٢)، لا ثقبا واحدا، ولا ريب أن احدهما، باب البر.

ويعتقد بعض الدارسين اليمنيين ان هذا الباب يشبه ثقب بينون، مما يؤكد انه نفق لاشصر كما يعتقد البعض الآخر من الدارسين^(١٣).

وبذكر حمزة لقمان استنادا الى رواية اغفل مصدرها في معرض حديثه عن باب البر انه تم قطع الصخر في اوطاء جزء من الجبل، وأحدث فيه ثقب بالمطارق^(١٤)، وباب البر وحده لا باب الزيادة يقع في اوطاء جزء من جبل التعكر، وقد شاهده بعض الدارسين عيانا



مسطحة صبيحة عام ١٩٤٥

كالاستاذ احمد الشامي الذي مر من خلاله اثناء تجواله في عدن وقال ان طريقه تقطع صخور الجبل المشرف على الطريق، وقد اجتزته صامتين^(١٣)، والمج بول نيزان في كتابه عدن العربية الى انفاق لم يحدد مواضعها حيث قال وهناك انفاق مليئة برائحة الشادر الصادر من البراز.

ويحتمل ان يكون النفقان - حينها - قد ملئا بالزباله والقمامة بحيث ظن الرحالة بول نيزان ان رائحة البراز صادرة عنهما^(١٤)، ولعله شاهد انفاقا اخرى في المدينة نجهلها.

ثم عرف عدان النفقان في ما بعد (بباب الساقيين) على ما يذكر ابو الفداء^(١٥) حيث كان الاهالي ينقلون الماء عبرهما، وظلا على هذا الحال حتى اوائل عقد الثلاثينات كما تفيد بعض الروايات. ويستشف من هذه التسمية الاخيرة ان ثمة بابا اخر افتتح على مقربة منهما بحيث اصبح اناب الرئيس موضعا لمرور عربات الماء التي تجرها الدواب، ولا شك ان الباب الجديد هو باب الزيادة (طريق العقبة حاليا).

متى شق النفق؟

وليس ثمة ما يدعو الى شك في أن هذا النفق هو اقدم عمرا من باب الزيادة (العقبة)



فقد عادت به الاسطورة الى أيام شداد بن عاد^(١٦)، وجعلت منه حيسا للمجرمين، ففي حين يعده ابن المجاور من مخلفات العصر الايوبي حيث يرى ان ابا عثمان الرزنجبلي شاده وربما جده اثناء تشييده لاسوار عدن التاريخية البحرية^(١٧). بيد أننا لا نعلم بالتحديد متى شق! ولكن استنادا الى معطيات النقوش التي اشارت الى جهود بعض ملوك قتيان في مجال التعمير والبناء وشق الانفاق، وتعميد الطرقات، يخمن الاستاذ حسن شهاب ان النفق شق في عهد الملك القتباني يدع اب ذيبن شهر آخر مكريبي قتيان^(١٨) على اعتبار ان حكم القتبانيين امتد الى باب المنذب، وهذا يعني أنه يرجع به الى مخلفات الحضارة اليمنية القديمة في عدن.

ويذهب المذهب نفسه الاستاذ الويسي حيث يرجع به الى العصر الحميري^(١٩) كما ورد ذكر النفق في المصادر البريطانية عام ١٨٥٠ م^(٢٠) وهي السنة التي تم فيها تصفية النفق وتنظيفه من القمامات وتراكمات التعمير على الارجح، واستخدامه لمرور عربات نقل الماء التي تجرها الدواب، فقد افاد الخبير الذي نشرته فتاة الجزيرة^(٢١) في اوائل عند الاربعينيات ان عبدالحسين عبد العلي جارا والا البهري توفي يوم الاحد ٦ ربيع الايلول سنة ١٩٤٠ م، وانه كان مخططاً عند فتح النفقين المعروفين في عدن قبل تسعين سنة، ولا شك ان المراد بفتح النفقين هنا اي ازالة القمامات والشرامات المختلفة منهما واستعمالهما لغرض نقل الماء الى المدينة.

وتجدر الاشارة ان هذا النفق ينفذ الى التشييدات الحديثة في جبل حديد (التعكر) التي انشئت في عهد الادارة العسكرية البريطانية، وعلى مدخله ينفذ حصن التعكر وهو حصن قديم انشئ لغرض حماية البواب من الغزو الداخلي والخارجي، ويستطيع المرء مشاهدة هذا الحصن حال قدومه الى خور مكسر مارا بالطريق الخلفي المحاذي للجبل، ونعتقد استناداً الى الروايات التي سقناها في ما سلف ان هذا المدخل هو البوابة الرئيسية للمدينة من جهة البحر، وهي تقف الان قبالة ثانوية الجلاء وعلى مقربة من الادارة العامة للتربية والتعليم بخور مكسر.

وطول النفق كما يقول هتر ٣٥٠ يارده اي حوالي ميلا واحدا في حين يرى احمد السباني ان طوله حوالي ٣٠٠ مترا^(٢٢)، مما يؤكد انه من أقدم واطول الانفاق في جنوب الوطن اليمني ان لم يكن في اليمن كله.

وقد استخدم الاسلاف في شقه وسائل بدائية كالمطارق والازاميل، وهي الوسائل نفسها التي استخدمت في شق اخدود مبلقة في بيهان، واحواض خزن المياه (الصهاريج) في عدن والضالع، وحضرموت، وبيهان، والقصور، والسدود العظيمة، وغيرها من



المآثر الخالدة في اليمن وعلى هذا الاساس فهو اطول من نفق الساحل الذهبي الحديث الذي ظن انه اول نفق من نوعه في بلادنا، والذي يبلغ طوله ١٤١/٥ متراً وعرضه ٩/٤ امتار وارتفاعه ١٧/٣ امتار على الرغم من البعد الزمني الذي يفصل بينهما، وحدائنه وسائل البناء والتشييد، ووسائل شق الانفاق في عصرنا الحاضر، بالنظر الى الوسائل المستخدمة قديماً.

وظل النفق مفتوحاً حتى اوائل عقد الثلاثينات غير انه اقتصر على مرور عربات نقل الماء الى المدينة ولما تم توسيع الثلثة (باب الزيادة) او باب العقبة، قامت الادارة العسكرية البريطانية باغلاقه، واستخدامه لخزن الاسلحة ثم اصبح بعد ذلك نسياً منسياً، فلم يرد ذكره في الدراسات الحديثة على قلتها التي تناولت معالمنا التاريخية والاثريّة بالدرس، والتقصي، والتحقيق، كالتقارير العلمية، والدراسات الميدانية التي يقوم باعدادها الخبراء والاختصاصيون في المعالم.

الحوادث التي جرت على مقربة من الباب

وهناك ادلة اخرى تؤكد ان هذا النفق هو باب عدن الرئيس، وهي الادلة المتعلقة بالمواقع الجغرافية، والحوادث التي جرت فيها، وقرب هذه المواقع او تلك من الباب، فبانعام النظر في هذه المواقع الجغرافية التي كانت تقوم في هذه الامكنة يتضح جلياً ان ثمة حصناً كنا قد اشرنا اليه في ما سبق كان يقف على قمة جبل التعكر، ويشرف على مدخل النفق، هو حصن التعكر، هذا الحصن كثير ما يرد ذكره في سياق الحوادث، والمعارك التي تحدث عند الباب بين الفئات المتناحرة، فقد ذكر صاحب كتاب تاريخ الدولة الرسولية - وهو مؤرخ او كاتب مجهول - ان علي بن صلاح اوعز الى حلفائه بمعالجة الباب وفتحه ففدقه جند الحصن بصخرة هضمه على حد تعبيره، والمستفاد من الروايات التاريخية ان هذا الحصن يقف هو الآخر الى جانب حصون اخرى تمتد حتى الجبل الاخضر، الذي يكاد يكون امتداداً للتعكر في بعض الجهات وهذا الجبل الاخير يمتد من محطة خورمكسر حتى ثانوية الفقيد لظفي بعدن وكان يقوم عليه هو الآخر حصن يسمى حصن الخضراء.

ذكر الخزرجي في العقود^(٢٢) ان السلطان المجاهد الرسولي هاجم عدن وفتح باب المدينة وبات في التعكر، ثم نزل من التعكر، وسار الى الخضراء على طريق الدرب، وتفيد رواية اخرى ساقها المؤرخ الطيب بامخرمه ان قرية تسمى المباءة كانت تقوم على مقربة من الباب، وذكر ان بينها وبين عدن ربع فرسخ^(٢٣) وانها خربت في عهده حيث أطلق عليها البحر حتى غمرها، في حين يرى الاستاذ حسن صالح شهاب ان القرية كانت تقع باسفل الجبل الذي حفر فيه النفق^(٢٤) وهذا يدعم الرواية التي نقلها المؤرخ محمد بن عمر بافقيه المعروف بالشحري من مصادر ما لم يحدده، والتي تفيد ان ماء البحر طلع الى



فوق ذرج باب المدينة^(٢٥) ربما على اثر عاصفة او اضطراب في الاجواء والطقس، وليس ثمة بابا اخر - باستثناء ابواب السور - غير باب البر والنفق) يمكن لامواج البحر ان ترتطم به اثناء المد الشديد أو العواصف العاتية.

ولمزيد من الوضوح ينبغي ان نعرف هنا ان ثمة ثقبين اساسيين في السلسلة الجبلية المحاطة بمدينة عدن، احدهما يسمى باب البحر - حقات - والاخر باب البر كما يجمع المؤرخون، والاخير هو باب الزيادة في أغلب الظن، وبعد المعاينة تبين لنا ان باب حقات يقف على تلة مثل مثل باب الزيادة، ولهذا لا يصل اليه ماء البحر اثناء المد، اما النفق الباب الرئيس للمدينة كما نعتقد، فيقع في اسفل الجبل وينفذ من جهة البحر الى شارع اروى، ولهذا فهو اكثر عرضة لمياه البحر.

الحوادث التي جرت في هذه المواضع :

وجرت عدة معارك ومناوشات بين الفئات المتناحرة في سبيل السيطرة على المدينة وذلك على مقربة من الباب، أو في قرية المباءة نفسها، وكلها تؤكد صحة ما نميل الى ترجيحه في هذا الصدد من ناحية ومن ناحية اخرى تؤكد ان المدينة كانت محصنة من البر والبحر معا، على الرغم من تواطؤ بعض الفئات المناهضة لهذا الحكم أو ذلك مع القوى الغازية، التي كثيرا ما تستغل التناحر الداخلي بين الفئات الحاكمة، روى الخزرجي في مواضع من كتابه العقود، ان بعض القوى الغازية - غالبا - ما تتواطأ مع جند الحصن - حصن التعكر - أو مع غيرهم من الجند المناوئين للحكم، فتتهيب لهم تسلق جبل التعكر، وبذلك يحتلون المدينة، ولكن هذا لا يحدث الا فيما ندر اذ تؤكد الروايات ان الحراسة كانت شديدة على الباب وغالبا ما تنهزم القوى الغازية، ذكر الخزرجي ان الملك المظفر الرسولي خالف على ابيه المحاهد، فارسل مجموعة من العقارب^(٢٦) الى الباب على أن يلحق بهم فتوجس الجند منهم فطردوهم فلم ينظردوا فاغلقوا باب المدينة، وحينها توصل المظفر وجرت بين الفئتين معركة اندحرت على اثرها فلول المظفر^(٢٧).

ويروي ان المجاهد الرسولي - اثناء الحروب الاهلية بين الرسوليين انفسهم - غزا المباءة وكان فيها عسكر من قبل الظاهر فانهزم العسكر الظاهري في الجولة الأولى، ثم جرت معركة اخرى انهزم فيها عسكر المجاهد الى جبل حديد - التعكر - في الجولة الثانية.

وقد تجري المعارك في قرية المباءة نفسها - القريبة من الباب - ففي سنة ٧٢٥ هـ - ١٣٢٥ م هاجم المجاهد لرسولي عدن بمجموعة من المماليك والشفاليه، وتوقف في مسجد قرية المباءة فخرج اهل عدن لقتاله وجرت بينهما معركة اودت بعدد من رجاله ولاذ البقية منهم بالفرار^(٢٨) ويستخدم العدو المهاجم في كثير من الاحيان وسائل اخرى



م مما يثبت انها شقت بعد عهده (٣٤).

وكيفما كان الحال فباب الزيادة (العقبة) هو احد ابواب مدينة عدن بيد انه باب ثانوي لا رئيسي شق في وقت متأخر، وكان منذ زمن بعيد عبارة عن ثلثة في جبل انعكس لا نعرف بالتحديد متى شقت هي الاخرى، وقد تنبه لاهميتها الرسوليون توسعوها، وبما انها كانت في منتصف الجبل او على ثلثة منه فقد كان يصعب على عربات النقل التي تجرها الدواب اجتيازها، ولهذا استعمل الاهالي النثق، وظل مستعملا حتى اوائل عقد الثلاثينات، ثم اغلقه المستعمرون البريطانيون وتحولت وسائل النقل الى العقبة، وبالتالي برزت اهمية العقبة، وانظمت معالم النثق او بكلام اخر تلاشت من الاذنان فظن الناس ان العقبة هي باب عدن الرئيس والحقيقة غير ذلك.

باب حقات

ومن الابواب البحرية - باب البحر المعروف اليوم (باب حقات) ويحتمل ان يكون هذا الباب الآخر في ساحة ثلثة تضرب بجذورها في القدم فقد سبق ان اوردنا رواية سافيا القلقشندي نقلا عن المعبر يقول فيها ويحيط بها - اي عدن - من جهة شمالها على بعد جبل دائر الى البحر يتشب فيه من طرفيه ثقبان كالبابين بينهما على ظهر الجبل سيرة اربعة ايام وليس لاهلها دخول ولا خروج الا على حذيين الثنبيين او من البحر (٣٥) - ما يثبت ان باب البحر هو مجرد ثقب او ثلثة في الجبل وتجدر الملاحظة هنا ان بحرنا انحط الصواب وبالغ في الغلو حين حدد السير على ظهر الجبل كله باربعة ايام.

ويبدو ان هذا الباب - كثلثة او ثقب - كان موجودا ايام بني زريع، ولما قام الايوبيون بتسوير مدينة عدن من الجبال، اقاموا على الثلثة بابا اطلق عليه باب حقات (٣٦) لعل الدول المتعاقبة على اليمن شاركت هي الاخرى في توسيعه على مر الزمن حتى جاء عهد الاحتلال البريطاني فزادت الادارة العسكرية البريطانية في توسعته حتى صار من حيث اتساعه يشبه عقبة عدن (باب الزيادة).

ابواب سور عدن:

يعزو المؤرخون تطور وازدهار الحياة الاقتصادية والاجتماعية في عدن الى الايوبيين وعلى الاخص عهد ابن عثمان الزنجيلي، على الرغم من سلبات هذا الوالي وما لحق به من نهم لا تخلو من الصحة فقد بني الزنجيلي، المساجد والمدارس، والمدارس، والحمامات، وفرضة عدن (الميناء القديم) والدور المشهورة، والطرق والاسواق،



المسقوفة المعروفة بالقيصارية الى جانب تأسيسه لبعض القرى في عدن كقرية اللخبة التاريخية^(٣٧).

وتوافد الناس - في عهده - على عدن من كل فج^(٣٨) فآزداد عدد سكانها، وازدهرت فيها الحركة التجارية ازدهار ملحوظا، ولعل ابرز جهوده تشييده لاسوار مدينة عدن البحرية فقد تنبه آل زريع - في بادىء الامر - الى ضرورة تسوير المدينة بسبب قصة طريفة يرويها ابن المجاور^(٣٩)، فاقاموا اسوارا ضعيفة سرعان ما تهدمت^(٤٠) ثم جاء ابو عثمان الزنجبيلي فاعاد بناء السور بشكل محكم بالحجر والجص^(٤١) (دائرا على جبل المنظر الى اخر جبل العمر وركب عليه باب حجاب السالف الذكر) وادار سورا ثانيا على الجبل الاخضر وحده من حصن الاخضر الى التعكر على رؤوس الجبال، وادار سورا على الساحل من الصناعة الى جبل حفات وركب عليه ستة ابواب باب الصناعة^(٤٢)، وباب حومه وباب السكة^(٤٣) وهما بابان يخرج منهما السيل اذا نزل الغيث بعدن، وباب الفرضة، ومنه تدخل البضائع وتخرج، وباب البر، وباب مشرف، وباب حيق وبني الفرضة وجعل لها بابين.

ويرى المقدسي الذي زار عدن ان ابواب السور خمسة لا ستة حيث يقول (ومدوا - اي اهل عدن - نحو البحر حائطا من الجبل الى الجبل فيه خمسة ابواب)،^(٤٥) وهي الابواب التي تبدو جلية في الرسم البرتغالي لمدينة عدن عام ١٥١٢ م.

بيد أن المرء اذا امعن النظر في الرسم سيجد ان ثمة بابين فقط يقومان في السور، احدهما باب الفرضة، والاخر الباب القريب من جبل التوبة، وهو اصغر حجما منه ويقع في اقصى اليسار ويحتمل ان يكون الباب الآخر للفرضة ايضا كما تشير رواية ابن المجاور، أما الفتحات الصغيرة الشبيهة بالابواب الصغيرة، فلا شك انها نوافذ صغيرة أو فتحات للقتال كما هو الحال في قلعة صيرة التاريخية، والحصون الاخرى المنتشرة على السلسلة الجبلية بمدينة عدن، ويذهب الاستاذ حسن شهاب الى الاعتقاد بان الابواب الاخرى تقوم في جهات اخرى من النوب، ولعل الرسام لم يتمكن من التقاطها، وتؤكد معظم الروايات التي ساقها المؤرخون والدارسون ان المدينة كانت محصنة تحصينا منيعا من جهة البحر^(٤٥) بحيث يصعب احتلالها الا بعد لاي ومشقة ولهذا غالبا ما يستخدم الغزاة السلالم لتسلق السور.

يروى ان الافرنج (البرتغال) هاجموا المدينة وتسلقوا سورها بالسلالم ودخلوها من عند باب مكسور^(٤٦) ولعله باب السكة أو حومة.



المناة

المناة

وعلى الجملة فقد كانت مدينة عدن محصنة من كل الجهات، فالجبال والاسوار تحيطان بها احاطة السوار بالمعصم، مما حدا بابن خلدون الى القول (انها من امنع مدائن اليمن) (١٧).



- (١) معالم الآثار اليمنية ص ١١ - ١٤.
 - (٢) الدكتور عدنان ترسيبي - اليمن وحضارة الانسان ص ٧٦.
 - (٣) منلقة الارض الخالية الواسعة خلوق من الارض مجاريها واوديتها.
 - (٤) د. عدنان ترسيبي اليمن وحضارة الانسان ص ٦٢.
 - (٥) انظر موضوعنا في الحكمة العدد ١٣٠ يوليو ١٩٨٧ م.
 - (٦) ويندل فيليس كنوز مدينة بلقيس تعريب عمر اليراي ص ١٨٦ - ١٨٧.
 - (٧) المفصل ٢/ ١٨٨ و ١٨٩ وتاريخ الجنس العربي دروزه ٦٨/١ حيث يرد فيه اوس بن عم نصر.
 - (٨) صفة جزيرة العرب ص ٩٤.
 - (٩) احسن التقاسيم ص ٨٥.
 - (١٠) صبح الاعشى ١١/٥.
 - (١١) اليمن الخضراء الاكوع.
 - (١٢) تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية / حمزة لقمان ص ٣٠٣.
 - (١٣) رياح التغيير في اليمن احمد الشامي ص ١٤٥.
 - (١٤) عدن العربية بول نيزان ترجمة بشير خان ص ٤٩.
 - (١٥) تفويم البلدان ابو الفداء ص ٩٣.
 - (١٦) ابن المجاور ص ١٠٧ وبامخرمه ص ١٥/١.
- نعلم ان تسرب روح الاسطورة الى الاخبار والحوادث يدل على انها تضرب بجذورها الى القدم.
- (١٧) ابن المجاور ص ١٢٨ وبامخرمه ٤٧/١.
 - (١٨) اضواء على تاريخ اليمن البحري - حسن شهاب ص ٢٤٠ - ٢٤١.
 - (١٩) اليمن الكبرى الويسي ص ١٦.
 - (٢٠) .An Account of the British Settlement of Aden in arabia Captain F. n. Hunter p.142
 - (٢١) فتاة الجزيرة العدد ١٦ - ١٩٤٠ م.
 - (٢٢) انظر ايضا معالم الآثار اليمنية ص ١١٦.
 - (*) المقتطر المقاول.
 - (٢٢) العقود اللؤلؤية تحقيق الاكوع ٤٨/٢.
 - (٢٣) تاريخ ثغر عدن ١٨/١ - ٣٥ وجاء في الفضل المزيد تحقيق صالحية ان عامر بن عبد الوهاب ابني مسجدا بظاهر باب البر وهو مسجد قرية المباءة.
 - (٢٤) اضواء على تاريخ اليمن البحري ص ٢٣٩.

